فأساس الصياغة هو ما يسبقها من حركة داخلية تعطي للمعنى صورته الحقيقية ، ولكن تظل هذه الصورة طيَّ الخفاء إلى أن تتم عملية التواصل ، بانتقال المعنى من المتكلِّم إلى المتلقي من خلال الصورة الخارجية للصياغة ، أو ما يمكن تسميته (الصورة اللفظية للكلام) .

وإذا أردنا ألا يتعطل الفهم عن إدراك هذه الصورة فلا بد وأن تتسم بالوضوح الذي يجعل من المجهول معلومًا ، ومن الوَحْشي مألوفًا ، وبهذا يحدث التمايز بين المبدعين ، فالدلالة الواضحة هي أساس الفهم والتلقي الصحيح ، أو بمعنى آخر إنما تتحقق الدلالة إذا تم الفهم والإفهام .

وليس معنى هذا أن يُحاكَم الشاعر بغموض ينتاب بعض أبياته ، أو تراكيبه ، ما دامت الدلالة الكلية واضحة يمكن وصولها إلى المتلقي في يُسْر وسهولة . وقد روى القاضي الجرجاني أن بعض أهل الأدب قد حضر عند أبي الحسن بن لَنْكَك البصري ، وكان شديد التحامل على أبي الطيب ، وهو يذكر شيئًا من شعره حتى انتهى إلى قوله :

بَقائي شاءَ ليس هُمُ ارْتِحالا

فجعل يُعَجِّب من هذا المصراع مَنْ حضره لشدة تعقيده وتكلُّفه ، فقال له أحد الحاضرين : أين أنت من قوله في إثر هذا البيت :

كَأَنَّ العِيسَ كانَت فَوْقَ جَفْني مُناخاتٍ فَلَمّا ثُرْنَ سالا

فغضب وقال : هذا المصراع يسقط دواوين عدة شعراء !

ويرفض الجرجاني هذا الحكم ؛ لأنا لو قبلناه « فإن أحد أبيات الفرزدق يسقط شعر بني تميم جُمْلة ... ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان